المحاضرة الثامنة
د. حسناء أقدح د. سراب يازجي

ابن طُفيل

_ ولد في وادي آش سنة ٤٩٤_٥٨١ هـ.

_ شاعر، وكاتب، ومتصوّف، وزاهد، وفيلسوف، وعالم، وطبيب.

_ كان كلفاً بالحكمة المشرفيّة، ناظماً، ناثراً.

_ كتب قصّة حي بن يقظان لغايات فكريّة فلسفيّة خاصّة تقوم على مجموعة من الأسئلة.

_ تبدأ القصة بدايتين (أو مقدمتين):

والبدايتان تتحدّثان عن أصل هذا الفتى (حي):

سنذكر القصتين، وأريدكم أن تستشفّوا ما الرّمز؟ او الغاية ؟ ولم جعل ابن طُفيل للقصة مقدمتين؟

_ **البداية الأولى** (وهي بداية غريبة) يتحدّث فيها ابن طفيل الفيلسوف عن العناصر الأربعة (التراب ــ الماء ـ الهواء ــ النار). ويقول إنّه تشكّل ماء مع التراب وصادف هواء ونشبت نار. وصادف جوا مناسبا فتكوّنت طينة نشأ منها هذا الفتى (**حي بن يقظان**)، ويتابع القصة أنّه صادف غزالة وتجري الأحداث كما سنذكرها.

_ **والبداية الثانية** تقول: إنّ هناك ملكاً لديه أخت تزوجت رجلاً من عامّة الناس وأنجبت منه طفلاً، فعلم الملك بذلك فذهب إلى أخته ليقتل الطفل.

فوضعت الطفل في مهد وألقته في البحر خوفاً عليه من بطش الملك، وسارت الأمواج بهذا المهد على أن وصلت به إلى جزيرة نائية ليس فيها بشر.

وكانت حالة البحر في ذات الوقت حالة مد فدفعت الأمواج المهد إلى منتصف الجزيرة، وفي حالة الجزر تراجعت الأمواج فبقي المهد في الدّاخل.

ـ صادف وصول هذا الطفل غزالة كانت في ذلك المكان تبحث عن وليدها وما علمت أنّ سَبُعاً قد أكله.

فسمعت صوتاً من داخل المهد، فاقتربت وبدأت تضرب المهد بقدمها إلى أن ظهر الفتى

الطفل . ولأنها أمّ لطفل صغير فهي مُرْضِع . فأرضعت هذا الفتى من حليبها وتعاملت معه على أنّه وليدها الذي فقدته.

. شبّ الفتى في الجزيرة وبدأ يتعلّم أصوات الحيوانات وبدأ يتعلّم الحياة، لكن الذي كان يعلِّمه الحياة هنا هم الحيوانات أنفسهم.

بمعنى: كان ينظر فيرى أنّ لكلِّ حيوان طريقة في الاصطياد، وأنّ له في جسده أشياء تساعده على هذه الطريقة..

فالحيونات الضارية لديها مخالب.. والسبع لديه أنياب حادّة... والنسر لديه مخالب في قدمه... الخ.

وهو ليس لديه ذلك، فبدأ يفكِّر لماذا أنا مختلف عن هؤلاء مع تشابهنا في الإطار العام.

أي: لهم يدان وله يدان... لهم أرجل وله أرجل... إلخ.

وله كل الأعضاء الموجودة لدى الحيوانات الأخرى.

فأوّل ما بدأ يفعله بدأ يتشبّه بالحيوانات فأخذ يلتمس أشياء تساعده على الصّيد مثل الحيوانات، فبدأ يضع الرمح ويضع شيئاً يشبه القوس والسهم.

ـ ثمّ لاحظ أنّ الحيوانات لا تبرد في الشتاء، لأنها لديها فراء فأخذ يسلخ الفراء عن الحيوانات الميتة ويضعه على جسده ليتشبّه بالحيوانات.

بمعنى: بدأ يقلّد الكون المحيط به ليعيش.

. ثمّ تطوّرت هذه المسألة فبدأ يتفكِّر في الكون جميعاً.

فلاحظ أنّ كل الحيوانات متشابهة (لها عينان وأنف وفم وأطراف... إلخ)، فقال لابُدَّ أنّ هناك شخصاً واحداً جعلها على هذه الشاكلة الواحدة.

فبدأ يفكِّر هل هذا الشخص يشبهه... فقال من غير المعقول أن يُنْتج الشيء شيئاً مثله.

إذاً: هو ليس مثل حي.

هل هو كالحيوانات؟!

فقال: هو ليس كالحيوانات؛ لأنّ الشيء لا ينتج شيئاً مثله.

ولن يكون كالشمس وكالقمر ولا كالنجم.

. وبدأ ينظر إلى الشمس والقمر وما إلى ذلك ويبحث عن الذي أوجد هذه الموجودات إلى أن خرج بنتيجة هي أنّ الذي أوجدها لابُدَّ أنّه كائن متعالٍ مختلف عن هذه الكائنات، وغلب على ظنه أنه هو من أبدع كل هذه الكائنات وأنّه ــ أي حي ــ لا فرق بينه وبين الحجر والشمس والقمر... فهو مخلوق مثلهم وبدأ يقتنع بهذه الفكرة.

ـ وبعد مدة مِن الزمن اقتنع أنّ هناك قوة قد خلقت هذه الكائنات والمخلوقات على هذه الشاكلة.

فقال لابُدَّ أنها قوّة عاقلة إلى أن توصّل إلى وجود إله خالق لهذا الكون.

ـ ثمّ لاحظ أنّ هناك فرقاً بينه وبين الحيوانات، وأنّ الحيوانات لا تفعل كما يفعل هو على هذا الشكل المنظَّم الذي فيه عقل واضح.

فبدأ ينظِّم الكائنات:

١ . فقال إنّ أقل الكائنات هو الجماد الذي لا يتحرك.

٢ . وبعد ذلك يأتي النبات الذي يتحرك وينمو، ولكن ليس لديه القدرة على الفعل.

٣ . لذلك يأتي بعده الحيوانات الذي لديه القدرة على الفعل.

٤ ـ وبعد ذلك يأتي هو ـ أي حي بن يقظان ـ لأنه اكتشف أنّ لديه قدرات ليست للحيوانات كالقدرة على التفكير، فاكتشف أنّه أرقى الموجودات على الجزيرة.

ـ ثمّ بعد ذلك قال: إذا كان هذا الخالق موجود على الحقيقة وخلقني، ألا يستحقّ شيئاً ما؟!!! شيئاً من ضروب الولاء والطّاعة؟!!

فماذا أفعل لأُرْضي الخالق؟

فبدأ ينظر في الكون، ليرى ماذا يفعله الكون لهذا الخالق، فلاحظ أنّ الشمس تغيب وتظهر... وأنّ القمر يسير... وأنّ هذه الحركات دائريّة.

فقال سأقوم بحركات دائرية في الجزيرة.

ثمّ بعد ذلك بدأ يفكِّر أنه هو أرقى هذه الكائنات، فلا بُدَّ أن يقدِّم شيئاً لا تستطيع تلك

الأشياء أن تقدِّمها (وهذا التفكير نوع من التسبيح والتنزيه) فبدأ يجلس جلسات ويذكر ربّه ويسبِّحه ويشكره.

(أي هو نوع من الاعتكاف، ولكنّه مجرّد تفكير؛ لأنه لا يعرف الكلام فكلامه ككلام الحيوانات). ووصل إلى العمر الأربعين وهو على هذه الجزيرة.

(الآن سنترك حي بن يقظان ونذهب إلى جزيرة أخرى مجاورة لجزيرة حي).

هناك جزيرة لا تَبْعُد كثيراً عن جزيرة حي، لكن هو لا يعلم أنّ هناك جزيرة وأنّ هناك كوناً غير الكون الذي يعيش فيه.

وهذه الجزيرة يعيش فيها شخص اسمه «**أَبْسَال**» وشخص اسمه «**سُلاَمان**» كلاهما نزل عليهما دين سماوي (ولم يذكر ما هو هذا الدين)، وكلاهما مؤمن بهذا الدين، لكنّ أبسال اعتزل وبدأ يتفكَّر في أحوال الدين.

إذاً: هو أقرب إلى الشيخ الزاهد.

وسلامان كان يحكُم المدينة فبدأ يعيش مع الناس.

إذاً: هو شخص عادي من الحياة، أي هو أقرب إلينا.

ـ هذا الشيخ الزاهد «**أبسال**» بعد مدة من الزمن وجد أنّ عليه دور يجب أن يؤدّيه تجاه هؤلاء الناس.

فحالهم كانت كحالنا الآن، أي أننا نلتفت في حياتنا إلى الدّنيا التفاتاً واضحاً.

ـ هذا أبسال لم يعجبه هذه الحال من الناس فبدأ يسير بين الناس وينبههم إلى أنّ هذا الانصراف إلى الدنيا غير مقبول... عليكم أن تعتكفوا لعبادة الله... عليكم أن تتركوا هذا الزائد من كل شيء..

فبدأ يصطدم مع سلامان ومع الناس، وعند ما كَثُر هذا الاصطدام قرّر بأن يترك هذه الجزيرة ويذهب إلى جزيرة مقابلة.

فذهب إلى جزيرة حي بن يقظان:

(انتهوا إلى أنّ حيَّاً لم ير إنساناً قط، وفجأة وهو يسير في الجزيرة شاهد شخصاً أمامه «وهو

أبسال» **وأبسال** خاف عندما رأى حيّاً على هذه الشاكلة بدون رداء وبدون حلاقة.. الخ.. فهرب كلاهما.

*ولكنّ حيّاً كان نظيفاً، فهو كان يتعلم النظافة عندما كان يقلِّد الكون. فمثلاً اكتشف أنّ النجوم تلمع وهذا اللمعان دليل نظافة فبدأ ينظِّف نفسه.

. شاءت الظروف أن يلتقيا مرّة أخرى، لكنّ أبسال كان أشدّ خوفاً من حي، فبدأ حي يقترب منه ويهدِّئه كما تفعل الحيوانات مع أمثالها ويمسح على رأسه ويخفف عنه إلى أن هدأ الروع من كليهما (والمفروض أن يحصل العكس).

ـ الآن لابُدَّ من وسيلة تواصل بين الاثنين، وحي لا يتقن الكلام، وأبسال يريد التواصل مع حي، ونحن نعلم أنّ أبسال هرب من جزيرته لأنّه لم يستطيع أن يؤدّي دوراً ما هناك، فقال لعلّ هذا نوع من التعويض عمّا لم أستطع فعله في جزيرتي فبدأ يعلِّم حيّاً الكلام.

ـ عندما أتقن حي الكلام بشكل كامل بعد مدةٍ من الزمن لم يحدِّدها ابن طفيل، بدأ حي ينقل لأبسال كل المعلومات التي توصّل إليها.

(أن هناك خالق للكون وأنّ هناك كذا وكذا...).

فأبسال بدأ يلاحظ أنّ المعلومات التي يقدّمها حي تتوافق وتتطابق مع الدين الذي نزل إليه.

يعني: ما يقوله حي ممّا اكتشفه بعقله يتوافق مع الدين السماوي الذي نزل على أبسال، فاقتنع أبسال زيادةً أنّ ما هو عليه حق فبدأ يحدِّث حي بن يقظان عن الدين الذي نزل عليه.

واتفق كلاهما أنّ هذا الدّين دين حق بسبب هذا **<u>التوافق بين المعقول والمنقول</u>**، واتفقا معاً أنّ ما هما عليه صواب.

. فقال حي لأبسال لم لا أساعدك في هداية الناس في الجزيرة الأخرى فلعلك أنت وحدك لم تستطع، فإذا فعلنا ذلك مجتمعين قد نستطيع أن نفعل ما لم تستطع فعله وحدك فوافق.

. فخرجا معاً إلى جزيرة سلامان، وبدأ أبسال يعرض حي على الناس ففوجئوا به واستقبلوا الأمر بشيءٍ من الاستحسان.

. على اعتبار أن حيّاً كائنٌ جديد . واستقبلهما أيضاً سلامان .

. وبعد أيّام الترحيب وعندما شرع أبسال وحي في دعوة الناس إلى ما هما عليه، بدأ الصراع ينشأ من جديد، لأنّ الناس ليس عندها الرغبة أن تترك ما هي عليه مع قناعتها بأنها على صواب.

بمعنى: ما نفعله في حياتنا الدنيا قد لا نجد له مانعاً دينياً، فنحن لا يمنعنا أحد أن نعيش حياة مرفّهة.

فأبسال لا يبحث عن المانع الديني وإنّما يبحث عمّا يجب أن يكون عليه الإنسان الكائن.

ـ لم يستطع الناس أن تقبل الأمر وكادت أن تؤدي إلى نوع من الصّدام والرفض لكلا الرجلين، فاجتمع بعد ذلك حي وأبسال واكتشفا أمراً هو «**أن المدركات والحقائق هي بحسب عقول النّاس**».

بمعنى: يبدو أنّ من شأن الكون أن يكون فيه تفاوت في الإدراك بين الناس، فلا تستطيع أن تجعل كل الناس زُهَّاداً، ولا تستطيع أن تجعل كل الناس كعامّة النّاس. إذاً هناك فروق بين الناس.

فقررا أن يخرجا إلى الناس ويطمئناهم على ما هما عليه ويوافقا الناس على ما هم عليه.

ـ فخرجا إلى الناس وقالا لهم لقد اقتنعنا بما أنتم عليه، والذين أنتم عليه صواب، وهذا حق.

ولكن نتمنى منكم ألا تستسهلوا الدّنيا ولا توغلوا في الترف والبزخ وحاولوا أن تقتصدوا، واجمعوا شيئاً من الدنيا وشيئاً من الآخرة. فقبل الناس ذلك منهم وفرحوا بهما.

ـ وبعد أن هدأت النفوس، طلب حي وأبسال من سلامان أن يسمح لهما بأن يغادروا الجزيرة ويعودا إلى جزيرة حي، لينصرفا إلى عبادة الله، فوافق سلامان.

وذهبا إلى الجزيرة وأكملا حياتهما هناك، وماتا في تلك الجزيرة.

. هذا الإطار العام للقصة .

أما الغزالة التي أرضعت الفتى فلها مشاهد مهمّة في القصة، فبعد أن أرضعته واعتنت به حتى كبرماتت . وهو لا يعلم معنى الموت، هو يعلم أنّ الحيوان إذا جُرِح يمكن أن يُداوى الجرح

فينهض. فبحث في خارج جسدها عن جرح أو التهاب لكن لم يجد أي أثر لجرح أو دم، فقال: لابُدَّ أنّ الجرح داخلي وهو كان يرى عندما كانت تفترس الحيوانات بعضها أنّ للحيوانات كيان داخلي.

فشقّ بطن الغزالة ليبحث عن علّة موتها فلم يجدها.

وبينما كان ينظر داخل الغزالة وجد أنّ كل شيء ينتهي إلى القلب فقال لابُدَّ أنّ المشكلة هنا فشقّ القلب فخرج منه هواء ساخن.

المهم في النهاية اكتشف أنه لا يوجد جرح لا في الداخل ولا في الخارج.

فقال في ذهنه: إذاً لابُدَّ أنّ شيئاً ما كان هنا ومضى

وهذا الشيء هو الروح، ولكنه لم يكن يعرفها وإنما أدركها بعقله.

فقال: إذا كانت كل هذه الأعضاء سليمة فلابُدَّ أنّ هناك شيئاً ما قد ذهب، وأنّ هذا الشيء إذا ذهب ينتهي الجسد على هذه الشاكلة ـ وبقي الجسد مدة فبدأ ينْتِن، فبحث له عن حل وتعلّم دفن الحيوانات فدفنها تحت التراب

الآن لدينا مجموعة من الأسئلة:

س١: لماذا هنالك بدايتان للقصة؟

ما المقصود بوجود بدايتين للقصّة؟

إذا فكّرنا بنشأة الإنسان فإنه لدينا نشأتان .

النشأة الأولى: التي نشأ فيها الإنسان من الطيّن (سيدنا آدم).

النشأة الثانية: التي نشأنا فيها جميعاً (أي من أبٍ وأم).

فهو أراد أن يجمع بين الحالتين.

إذاً: هو يقصد «بحي» بأنّه رمز للإنسان أيّاً كان، لذلك جمع بين القصتين.

س٢: ما الهدف الحقيقي أو ما الغاية من هذه القصة؟

في الفكر العربي الإسلامي هناك مجموعة من الثنائيات كَثُر الحديث عنها من هذه الثنائيات

ثنائية (**المعقول والمنقول**) (أي العقل والنقل، وهذا أمر مهم جداً يجب فهمه).

بمعنى بعض النُّقَّاد يرون أنك أمام سؤال.

إذ تعارض النّصّ الديني (النقل) مع العقل، فأي الحالتين هي التي تسير؟

يقول الدكتور **محمد سعيد رمضان البوطي** في كتبه: (**إذا تعارض العقل والعلم في شيء حقيقي . وثبت أنّه حقيقي . مع النص الديني، خُذ العقل والعلم بدلاً من النص الديني**).

ثم يعلّق: (**لأنك لن تجد تعارُضاً حقيقيّاً بين هذا وذاك**).

ـ ونحن نعلم أنّ عقل الإنسان متغيّر عبر التاريخ، وهذا يعني أنّ ما يبدو صحيحاً في مدة ماقد يصبح خاطئاً بعد حين.

لكن في النهاية يتوافق العقل مع النقل.

لذلك قالوا: إنّ الدين الحق والعقل في بحثه عن الحقيقة الحق لن تجد بينهما تعارضاً، لأن كليهما يبحث عن حقيقة واحدة.

إذاً: أراد ابن طُفيل أن يقول: **إنّ العقل يتوافق مع الفعل**.

(والنقل: ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة إلى كذا.. ، أي هو الدين أيَّاً كان. ونعود ونذكّر بأنّ ابن طُفيل لم يحدِّد ديناً بعينه وإنما قال بأنّه دين سماوي).

س٣: كيف اكتشفنا أنّ هناك توافقاً بين المعقول والمنقول؟

أين في القصة ما يدل على ذلك؟

عندما التقى حي مع ابسال وتبادلا الحقائق التي بدت متوافقة.

الحقيقة الأولى: أنّ هناك خالقاً واحداً للكون (فكلاها لديه هذه الحقيقة).

الثانية: أنّ هذا الإله متعالٍ عن الكائنات وليس كمثله شيء.

الثالثة: أنّ هناك ضروباً من العبادة يؤدّيها هذا المخلوق تجاه هذا الخالق مهما كان شكلها، فحي بدأ يدور ولم يحدِّد شيئاً معيناً.

فالمهم أن تقوم بعبادة تجاه الله سبحانه وتعالى، وهذا متوافق مع ما كان لدى أبسال.

إذاً: هناك مجموعة من الحقائق توصّل إليها حي بعقله (**العقل**) تتوافق مع الدين الذي نزل على أبسال (النقل).

إذاً: الهدف الأساسي الذي جُعِلت القصة من أجله:

١. التوافق بين المعقول والمنقول.

٢. إنّ هناك دعوة إلى التفكُّر، والذي أوصل حي إلى ما هو عليه التأمُّل والتفكُّر في الكون والطبيعة والأشياء المحيطة.

٣. علينا تقبُّل الآخر.

كل شخص لديه قناعات فيما يصح وفيما لا يصح... فيما يجوز وفيما لا يجوز ولذلك علينا تقبُّل الآخر، وأنّ الآخر يفكِّر بطريقة مختلفة عنك... لديه طرق في التعبير والتفكير والإيمان مختلفة عنك.

فقد تتفق مع الناس جميعاً في قبولكم أو في إيمانكم بالله سبحانه وتعالى ولكن قد تختلفون في طرق تقبُّل ذلك. وفي تأدية الواجبات المترتبة على ذلك. فعليك أن تقبل هذا الاختلاف.

وهذا ما توصل إليه أبسال وهي بعد أن زار الجزيرة وحاولا أن يقنعا الناس بما هما عليه، فما استطاعا، فاقتنعا بأن الأمور على هذه الشاكلة.

واقتنعا بأن قبول اختلاف الناس هو جزء من الحقيقة.

*لذلك فإنّ اختلاف الناس واضطرارهم في تجارب معينة إلى أحكام معينة اقتضى ذلك التشعُّب في الفقه، وفي الأديان جميعاً لذلك يجب عليك تقبُّل الآخر أيّاً كان.

س٤: لم تبدو هذه القصة مفيدة في عصرنا الآن؟

وما الذي تقدّمه؟

. **الأمر الأول**: أن نستفيد من وجهة نظر ابن طُفيل في التوافق بين المعقول والمنقول.

. **الأمر الثاني**: في قبول الآخر.

ـ **الأمر الثالث**: هذا النص نص أدبي جميل، وتكاد تكون هذه الرواية أوّل رواية كُتبت في العالم، وأثرت في الثقافة الغربية،

*رواية **روبنس كروزو** شُهِرَت أكثر من حي بن يقظان في العالم؛ لأنّ الناس كانوا يظنون أنّ هذه الرواية أصيلة، بمعنى أنها خاصّة بالمؤلّف دانييل ديفو.

ـ بعد ذلك عندما تطوّر مجال مسار الأدب المقارن، بدأت الناس تعي أنّ هذه الرواية هي تقليد واستثمار لقصة حي بن يقظان التي كتبها ابن طُفيل.

ثمّ نشأت بعد ذلك مجموعة من الدراسات لإثبات ذلك أو رفضه، بعد أن انتهت هذه الدراسات. أقرّت جميعاً باعتراف دانييل ديغو أنّه اطلّع على هذه الرواية بأكثر من لغة، وثبت ذلك في الأدب المقارن.

وأصبحت الآن قضية أخذ ((روبنسن كروزو)) من ((حي بن يقظان)) من كلاسيكيات الأدب المقارن، يعني أصبح أمراً بدهياً لا نقاش فيه.

استثمرت قصة حي بن يقظان في الفن الغربي بأشكال متعددة استثمرت أولاً بقصة طرزان ـ ما وكلي ـ فلونا ـ عائلة كروزو ـ وذلك لأنّ القصة في أصلها لافتة للنظر وفيها شيء أصيل بمعنى: إنّ التخييل في القصة كان تخييلاً جديداً.

نحن قلنا إنّ هناك رواية بُنِيَتْ على هذه الرواية، وهي رواية «روبنسن كروزو».

قصّة روبنسن كروزو:

كان هناك شابَّاً في سفينة في البحر، غرقت السفينة ونجا على الجزيرة وبدأت الرواية من منتصف رواية حي بن يقظان.

أي هو شاب مكتمل لديه ثقافة المجتمع الذي عاش فيه، وبدأ يتعامل مع النباتات والحيوانات.. إلخ.

كان مرّة على الجزيرة فوجد مجموعة من الناس من آكلي لحوم البشر، قد جاؤوا بشخص أسود وأرادوا أن يأكلوه.

وانطلاقا من أنّ الفتى قد سقط من سفينة فلديه سلاح، فأطلق عليهم النار فهربوا وبقي الزنجي.

.وكان ذلك يوم الجمعة فسمّاه (فرايده) نسبة إلى اليوم الذي أنقد فيه حياته.

وبدأ يتعامل مع فرايده، كما كان يتعامل حي مع أبسال.

السؤال الآن:

إذا كانت رواية روبنسن كروزو قد بُنيت على قصّة حي بن يقظان.

وحيّ كان لديه مجموعة من الأسئلة المعرفية التي تتعلق بالكون والحياة.

وروبنس كروزو أعاد صياغة هذه الأسئلة المعرفية نفسها.

لكن هل الأجوبة لدى حي هي نفسها لدى روبنسن؟

هل ستؤثر الثقافة التي ينتمي إليها كلا الكاتبين في طريقة حياة كل من الشخصين على الجزيرة؟

_ سنقدم الآن نصوصاً من ((حي)) ونصوصاً من ((روبنسن)) حتى نقارن بين الحالتين، وعليكم فهم هذه النصوص فهماً؛ لأنكم لستم مطالبين بحفظها.

لنفهم أوّلاً ما معنى الآخر؟

الآخر: بمعنى الشيء الآخر.. الشيء المغاير، فقد يكون جماداً.. حيواناً.. نباتاً... إنساناً.

فالآخر: هو كل شيء في الكون ما عداك.

فإذاً: تعامُل حي مع الكون يمثِّل موقف الحضارة التي ينتمي إليها حي من الكون.

وتعامُل روبنسن مع الكون يمثِّل موقف الحضارة التي ينتمي إليها من الكون.

لذلك سنرى الفارق بين الاثنين. وسنبدأ بسلسلة الآخر رويداً رويداً سنبدأ بالجمادات والكون ثم سننتقل إلى النبات والحيوان وبعدها إلى الآخر بمعنى الإنسان.

.وسنذكر النص ونستنتج معناه، وبعدها نذكر النص المضاد.

*وهذا النص فيه الآخر بمعنى <u>الجمادات والكون</u>.

يقول حي بن يقظان: (**إنّ الفَلَك بجملته، وما يحتوي عليه كشيء واحد متصل بعضه ببعض، وإنّ جميع الأجسام التي كان ينظر فيها أوّلاً كالأرض والماء والهواء والنبات والحيوان وما شاكلها في ضمنه وغير خارجة عنه وإنّ كله أشبه شيء من أشخاص الحيوان ـ (أي الكون كله أشبه بجسد الحيوان) وما في داخله من عالم الكون والفساد هو بمنزلة ما في جوف الحيوان من أصناف الفضول والرطوبات**).

معنى هذا الكلام:

أنَّ حيَّاً لم يميز نفسه عمّا في الكون، إذاً عند حي هناك نوع من التماهي بين الإنسان والكون.

بمعنى: هو لا ينظر إلى الإنسان بأنّه هو مركز الكون، هو يرى أنّ كل هذا الكون مرتبط ببعضه وأنّه هو لَبِنة من لَبنات هذا المعمار.

وأن علاقة الأشياء مع بعضها في الكون علاقة الوظائف في الجسد الواحد كالحيوان.

إذاً: هذه النظرة تولي الإنسان مزيّة بجعله جزءاً من الكون نفسه.

أمَّا روبنس كروزو (عندما وصل إلى الجزيرة وبدأ يتأملها قال: (**إنّ كل هذا الكون مُلكٌ لي وإنني مَلِك على كل هذه البلاد بشكل غير قابل للإلغاء، وإنّني أتمتع بحق الملكية، وإذا استطعت نقل ملكية هذا المكان فيمكن أن أحصل عليه بالوراثة بشكل كامل. كأي مالك مزرعة في إنكلترا.**)

س: ما الذي فعله؟

١ ـ هو مركز الكون.

٢ ـ. نظر إلى هذه الجزيرة إلى معنى الملكية النفعيّة.

إذاً: هنا نظرة استعلائية للكون أما عند حي كان هناك تماهياً مع الكون.

لكن إذا علمنا أنّ الوقت الذي كُتِبت به رواية «**روبنسن كروزو**» هو وقت ما يسمّى بـ«**انكلترا العظمى**». بمعنى وقت الاستعمار البريطاني . نعلم أنّ الثقافة التي ينتمي إليها روبنسن

كروزو قد انعكست في الأجوبة المعرفية التي قدّمها، فعلاقته بالكون أصبحت علاقة استعمار فعندما نظر إلى الجزيرة كان يريد أن يتملكها وينقلها إلى ملكه لتصبح متوارثة فيمن بعده.

اذن الثقافة التي ينتمي إليها المؤلف «دانييل ديغو» قد انعكست على الأجوبة المعرفية، وليست ثقافة روبنسن كروزو بطل القصة

مع أنّ روبنسون كروزو بُنيت على حي بن يقظان لكن دائماً في الأدب، الأجوبة المعرفية تتعلق بثقافة المرء التي ينتمي إليها وإن كان النص قد بُني على نص آخر.

الآن سنأخذ نصّاً فيه الآخر بمعنى النبات والحيوان:

يقول حي: (**إنّ حي قد ألزم نفسه أن لا يرى ذا حاجة أو عاهة أو مضرّة أو ذا عائقٍ من الحيوان والنبات وهو يقدر على إزالته إلاّ ويزيلها.**

فمتى وقع بصره على نبات قد حجبه عن الشمس حاجب أو تعلق به نبات آخر يؤذيه أو عطِشَ عطشاً يكاد يفسده أزال عنه ذلك الحاجب إن كان مما يُزال وفصل بينه وبين ذلك المؤذي بفاصل لا يضرّ المؤذي، وتعاهد بالسقي مهما أمكن.

ـ ومتى وقع بصره على حيوان قد أرهقه ضبع أو نشب به ناشب أو تعلّق به شوك أو سقط في عينيه أو أذنيه شيء يؤذيه أو مسّه ظمأ تكفّل بإزالة ذلك كله جهده وأطعمه وسقاه.

. ومتى وقع بصره على ماء يسيل إلى سقي نبات أو حيوان وقد عاقه عن ممّرّه ذلك عائق من حجر سقط فيه أو جرف انهار عليه، أزاله عنه. وما زال يُمْعِن في هذا النوع...).

إذاً: هو يتعاون مع الحيوان والنبات كأنّه هو ونلاحظ أنّ هناك تواصلاً مع الآخر الذي هو بمعنى الكائن الحي تواصُلاً واضحاً تماماً.

سنقرأ أيضاً عند روبنسن كروزو ولاحظوا الفروقات الثقافية، يقول:

سأضع خطاً تحت تعليق الدكتورة حتى نميّزه من النص.

(**إذا اصطدت لحماً أكثر مما أستطيع أكله فسيأكله الكلب، إذا حصدت قمحاً أكثر مما**

أستطيع أكله فسيتلف . <u>أي يجب أن أصطاد وأحصد على قدر حاجتي</u> . إنّ الأشياء الجيدة كلها في هذا الكون ليست جيدة إلا بقدر ما هي مفيدة لحاجتنا، وعلى الرغم مما نحن نقدّمه للآخرين فإننا لا نجد المتعة إلا فيما نستعمله نحن ليس أكثر).

لاحظوا النظرة النفعية، ولاحظوا أثر الثقافة الاستعمارية التي ينتمي إليها روبنسن، وهذا واضح من خلال تعامله مع الآخرين.

<u>سننتقل الآن إلى الموقف من الآخر بمعنى الإنسان:</u>

١ . * عند حي: علاقته مع الآخرين تتجلى بعلاقته مع أبسال ثم مع الناس.

. مع أبسال: لاحظنا أنه كان يهدِّئه ويرفق به.

ـ وعندما ذهب إلى الجزيرة وأصبح بينه وبين الناس تعارضاً لم يرفضهم لا هو ولا أبسال وإنما قبلوهم على ما هم عليه، واقتنعوا أنّ الاختلاف ضرورة بين الناس.

٢ ــ * أما موقف روبنسن كروزو: نستطيع ن نستشفّ ذلك من خلال علاقته مع فرايده. فبعد أن أنقذه قال: (**رَكَعَ ــ أي فرايده ــ قبّل الأرض ــ ثم أخذ قدمي فوضعها فوق رأسه ليؤكِّد لي أنّه سيكون لي عبداً إلى الأبد**).

لاحظوا الفارق الهائل بينه وبين حي.

. وقال روبنسن لفرايده: (**علّمته أن اسمه يجب أن يكون جمعة (فرايده) نسبة إلى اليوم الذي أنقذت حياته فيه**. (لم يسأله عن اسمه حتى فالموضوع منته عنده وسمّاه فرايده حتى يبقى يتذكّر فضله عليه) ــ **وعلّمته أن يقول لي سيّدي، وجعلته يعرف أن اسمي يجب أن يكون** «السّيّد»، **وعلّمته أن يقول «نعم» و «لا» وأن يعرف معناهما**).

إذاً هو يعبّر عن الثقافة الاستعمارية التي كانت سائدة في مرحلة من المراحل.

س: لمَ لم يسأله ما اسمك؟ ولم يقل له اسمه؟

لأنه عندما يخبره عن اسمه هو، ويسأله عن اسمه تصبح العلاقة بينهما علاقة مودّة، وهو يريد أن يضع مسافة بينهما.

*وعندما تقرؤون الرواية ستجدون فرقاً بين موقف روبنسن الثقافي الذي يعود إلى ثقافته

هو، ثم بعد ذلك التطورات التي طرأت عليه في قناعاته بما يتعلق بالكنيسة التي كان ثائراً عليها، فعندما وصل إلى الجزيرة وكان شبه مُلْحِد، ولكن بعد وصوله بدأ يؤمن بوجود الله، ثمّ يقول عن نفسه في نقطة من الرواية: (**وفعلت شيئاً لم أفعله في حياتي قط، أنّني سجدت شكراً لله**).

ولذلك قال: (**فعلت ما لم أفعله**)، ثم بعد ذلك بدأ يطلب الدّعاء.

ـ (نحن نريد فقط نقاط الاختلاف بين روبنسن وحي، حتى نقول إنّ كل شخص يعبّر عن ثقافته).

نعود إلى موضوعنا الأساسي:

إذاً: هناك تطور واضح عند روبنسن كروزو، عليكم أن تعوا هذه المسألة ولذلك قلنا إنّ حيّاً لم يشر إلى الدين الذي ينتمي إليه.

وهذا أمرٌ آخر يُضاف إلى مسألة قبول الآخر وهو:

أنّ حيّاً لم يتكلم على دين واحد فحسب وإنما ذكر الأديان جميعاً وقال إنّ هناك دين سماوي، لأن جميع الأديان تُقْبَلُ عقلاً ونقلاً.

لذلك كان من الواضح أنّه متسامح من البداية.

استطراد:

كل الشعوب تدّعي أنّ ثقافتها ثقافة قبول للآخر، لكن الذي يثبت ذلك أن يكذّبه هو الأدب.

فالأدب هو المعيار والمرصد الحقيقي الذي يمكن أن يرصد مواقف الناس من الأشياء.

ولذلك لاحظوا أننا نستطيع الآن في هذا العصر وعلى ضوء حوار الحضارات أن ندرس هذه الرواية دراسة جديدة من هذا المنظار.

*قالت الدكتورة:

نحن ندرس النصوص بعيداً عن مؤلفيها.

بمعنى: أريد أن أعرف ما هو موقف الأدب من الآخر في القرن الثامن عشر في بريطانيا.. في مصر.. الخ.

آتي بكل النصوص التي أُلفت من هذا القرن وأدرس فيها الموقف من الآخر.

. قد يكون لكل مؤلف من هؤلاء سبب، فهذا مريض وهذا معقّد، وهذا لا يَهُم المهم أنّ هذه النصوص تعكس وجهة نظر ثقافة ما.

الآن في النقد الحديث: يدعون إلى ما يُسَمّى بموت المؤلّف.

أي دراسة النص مع إلغاء المؤلف، وأحد الذين قالوا بهذا «**رالف كوهن**».

لكنه كتب نصاً قبل موته تراجع فيه عن مقولته بموت المؤلِف.

فالمؤلف وغاية النص أساسيان، لأنهما يمنعان من بعثرة التأويلات. فالمؤلف يعين على تثبيت معاني النص.

لكن لا يجب المبالغة في أهمية المؤلَّف، وإنّما نأخذ من حياته ما يعين على فهم النص.

<u>السمات الفنية في القصة:</u>

١- الأسلوب المرسل فقد جاء أسلوب الكاتب خاليا من ألوان البديع،لأنه يطرح قضايا فلسفية، وأمورا علمية ،تتناول التشريح وما شابه ذلك ، ولا غرابة في ذلك فقد كان ابن طفيل فيلسوفا وطبيبا وأديبا في آن واحد .

٢- الاقتباس من القرآن الكريم ، فقد أشار الى قصة خلق سيدنا آدم من غير اب وام ، كما أشار الى قصة سيدنا موسى عندما وضتعته امه في التابوت والقته في اليم خوفا عليه من بطش فرعون ، ناهيك عن قصة هابيل وقابيل حين عجز قابيل عن دفن جثة أخيه فأرسل الله اليه غرابا يعلمه طريقة الدفن. والاقتباس من النص الديني دليل على سعة اطلاع الكاتب ،وبراعته في توظيف الثقافة المعرفية في فن قصصي وكأنها جزء رئيس من نسيج النص .

٣- ينهج طريقة العلماء في طرح الاشكالية وتحليلها والبرهنة على صحة النظرية المطروحة بالأدلة القا طعة من خلال قصة مشوقة لا تخلو

من الحوار الممتع ،جامعا في الوقت نفسه بين العلم والادب .